

رحمة ... لا ذبيحة

«إن أريد رحمة ، لا ذبيحة ...
لأنني لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة
إلى التوبة»

(مت ٩ : ١٣)

obeikandi.com

«كان يجالس الفقراء ويستمع إلى شكاتهم فقد كان فقيراً ، ويحدث الخاطئين دون أن يلتفت إلى نظرات الاستنكار التي تُصَوَّب إليه - ولم يكن خطاء بل كان ذا قلب كبير ! كان إنساناً يغفر ضعف الإنسان !!

أصغى إلى الكتبة والفريسيين ولكنه لم يفعل لمواعظهم ، فكلماتهم تخرج من الفم ، كلمات ميتة بلا روح فلا تجد طريقها إلى القلب ..

الفريسيون ينطلقون في الطرقات يتحسسون على الفقراء ليتحققوا من طهارة ثيابهم ومنازلهم وحوانيتهم !! ولكنهم لا يهتمون كثيراً بطهارة النفس ، فالفواحش تُرتكب دون أن يُحرّكوا ساكناً ، فإنها كل ما يهمهم نظافة الثوب ! وأصغى إلى كبار الحاخامين في المعبد في موسم الحج فألقى شريعة موسى قد عُقدت وتفرعت مذاهب ، فما يحلّله (هلل) يحرمه (شماي) ، فأعرض عن حلقات السفسطة والجدل ومعارض الكلام ، وأقبل بنفس مفتحة على الكون - يغترف علماً وحكمة من معينه الرقراق ... ».

«أورشليم غارقة في المشاحنات الدينية ...

وبنو إسرائيل يرسفون في أغلال الكهنة راضين ، قد ثبتوا في أذهانهم أنّ الله اختارهم لحفظ الدين والناموس !! راحوا يشغلون الناس بالمحظورات والمحرمات ، ويسقّمونها إلى أقسام ودرجات :

فشماي في تزمته يمنع في يوم السبت عيادة المريض ، بل يحرم فيه الدفاع عن النفس وقتال الأعداء - وإن جاءوا للبلاد محتلين ، والشيوخ يُحرّمون حمل شيء فيه وإن كان إبرة أو كان قطعة من قماش زينت ثوب امرأة ولم تُثبت فيها - حتى الأسنان الصناعية !!

أظهروا التقشّف رياء للناس ، حتى أنّ فريق (الجباه الدامية!) من الفريسيين ، كانوا ينطلقون في الطرقات مغمضي العيون - لكيلا تقع عيونهم على النساء ! فيتخبّطون في سيرهم وبالجدران يرتطمون ، فتسيل الدماء على الجباه إرضاء للناموس !!!

إذا جاع يهودي يوم السبت - ولم يكن عنده ما يأكله - فخيرٌ له أن يموت جوعاً من أن يطهو طعامه ويكسر السبت ، لأنّ كاسر السبت يستحق الرجم .. وأما من مات في سبيل حفظه فهو شهيد» ^(١) !!

هذه صورة من قلم الأديب عبد الحميد السحر ، للقوم الذين سوف يستقبلون المسيح ورسالة المسيح ...

وانطلق المسيح يُبشّر برسالته ، بعد أن تقدّمه صوت يوحنا الصارخ النذير ..

تدفقت المواعظ من فمه ساحرة أخاذة ، جديدة على قوم ألفوا الكلام في الطقوس والمراسم لا غير ، غريبة لأنّ فيها حياة إذ تصدر من قلب فياض بالحياة : «فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أُشَبِّهُهُ برجل عاقل بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبّت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسساً على الصخر .. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يُشَبِّهُهُ برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبّت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط ، وكان سقوطه عظيماً !!» (مت ٢٤ : ٧ - ٢٧) .

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْتَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

١- السحر : المسيح عيسى ابن مريم ص ٥٢ ، ١٤٠ ،

الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنِيَئُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ [التوبة: ١٠٩، ١١٠].

وكان لابد أن تحدث مقارنة سريعة في أدمغة السامعين بين ما يسمعون وما كانوا يسمعون !! «فلما أكمل يسوع هذه الأقوال - بُهِتَ الجموع من تعاليمه ، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان ، وليس كالكتبة » (مت ٧: ٢٨-٢٩ ، لو ٤: ٣٢) !!.

وهل يطبق الذين عاشوا على أن يسمع الناس لهم وحدهم ، انطلاقة هذا الصوت الجديد ؟؟

هل يصبرون على انقياد الشعب لغيرهم ، وإصغائه لصوت غير صوتهم ؟؟

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ إِنَّ الْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾

[فصلت: ٢٦].

لقد بدأت حملة التشويش ضد الصوت الجديد ...

«وبينما هو متكئ في البيت ، إذا عثَّارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه ، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلّمكم مع العشارين والخطاة ، فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب - بل المرضى !!

فاذهبوا وتعلّموا ما هو : إني أريد رحمة لا ذبيحة ... لأنني لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة !! ».

«لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون : فيه شيطان! جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب ، فيقولون : هوذا إنسان أكل وشرب خمر ، محب للعشارين والخطاة!!»
(مت ٩: ١٠-١٣ ، ١٨-١٩ ، مر ٢: ١٥-١٧ ، لو ٥: ٢٩-٣٢ ، ٧: ٣٣-٣٤).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿١٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان: ٧-٩، ٢٠].

بدأوا إذن يغمزون المسيح بغمز أتباعه ، لكن إجابة المسيح كانت مفحمة ، من يدعو إذن : إذا كان سيتجنب من هم في أمس الحاجة للهداية ؟ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]....

وقال المسيح قولته الصاعدة : إنه يريد رحمة لا ذبيحة : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا ذَخِيرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ لَتَفْقُوهُ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَنَبِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

فيهاجم المترصون تعاليم المسيح بعد أن أفلسوا في النيل من سيرته ومسلكه : «حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ - فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً ؟! فأجاب وقال لهم : وأنتم أيضاً تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ، فإن الله أوصى قائلاً : أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً ، وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يُكرم أباه أو أمه - فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ! يا مرءون ، حسناً نبأ عنكم أشعياء قائلاً : يقترب إليّ هذا

الشعب بفمه وكيرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً ، وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس » (مت ١٥ : ٩-١٠ ، مر ٧ : ١٣-١٤) .

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٣] ! ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ٤٤] ! ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام : ٩١] ! .

كان المسيح في واد ، و (الطقوسيون) الشكليون الجامدون في واد آخر ... «لأنّ الفريسيين وكلّ اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعثناء لا يأكلون ... ومن السوق إن لم يغسلوا لا يأكلون ، وأشياء أخرى كثيرة تسلّموها للتمسك بها - من غسل كئوس وأباريق وآنية ونحاس وأسرة!!» (مر ٧ : ٣-٤) .

وتكلّم المسيح بلسانه وأعماله ... كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله : «يطوف المدن كلها والقرى يُعلّم في مجامعها ، ويُكرّز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب . ولما رأى الجموع تحنّ عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها » (مت ٩ : ٣٥-٣٦) .

واليهود يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، فهو لا يدعون معجزات المسيح تشدّه الأبصار دون تمويه أو تشويه ..

«أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول - رئيس الشياطين ! فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم : كلّ مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وكلّ مدينة أو بيت منقسماً على ذاته لا يثبت ، فإن كان الشيطان يُخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته - فكيف تثبت مملكته ؟ وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يُخرجون ، لذلك هم يكونون قضاةكم ! ولكن إن كنت أنا بروح الله

أخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله . أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً ، وحينئذ ينهب بيته؟؟ » (مت ١٢ : ٢٩-٣٠ ، مر ٣ : ٢٢-٢٧) .

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ١١ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ١٣ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ١٤ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ١٥ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ١٦﴾ [الحجر : ١٠ - ١٥] .

لم يسعفهم المنطق ، فليسعف اللمز والتنازع بالأصول والأحساب : «ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجملهم حتى بُهتوا ، وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم ، وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا - فمن أين لهذا هذه كلها؟؟ فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم! » «فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين ، فقال هؤلاء لهم : لماذا لم تأتوا به ؟ أجاب الخدام : لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان ؟ فأجابهم الفريسيون : ألعلمكم أنتم أيضاً قد ضللتهم ، ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به ؟ ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون . قال لهم نيقوديموس - الذي جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم : ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا يفعل؟؟ أجابوا وقالوا له : ألعلك أنت من الجليل ؟ فتش وانظر : إنه لم يقم نبي من الجليل!!»

«فيلبس وجد نثنائيل وقال له : وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء - يسوع بن يوسف الذين من الناصرة . فقال له نثنائيل : أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟ » (مت ١٣ : ٥٤-٥٨ ، مر ٦ : ٢-٦ ، يو ٧ : ٤٥-٥٢ ، ١ : ٤٥-٤٦) .

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزخرف : ٣٠ - ٣٢] .

هل فرغت جعبة المعارضين؟

لقد أعيتهم الحيل وأجهدتهم المزاوغة ، فأقبلوا مباشرة إلى المسيح يستفسرون ويتساءلون ، ومن ثانيا الحديث يتصيّدون الألفاظ ويؤوّلون الكلمات ... وردّ عليهم المسيح سؤاّلهم بسؤال ، فكان الهجوم أحسن طرائق الدفاع !!!

«وقف رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ وكلموه قائلين : بأيّ سلطان تفعل هذا ، أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان ؟ فأجاب وقال لهم : وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة ، فقولوا لي : معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ؟ فتأمروا فيما بينهم قائلين : إن قلنا من السماء - يقول : فلماذا لم تؤمنوا به ، وإن قلنا من الناس - فجميع الشعب يرهوننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي ! فأجابوا : أنهم لا يعلمون من أين ، فقال لهم يسوع : وأنا لا أقول لكم بأيّ سلطان أفعل هذا » (مت ٢١ : ٢٣ - ٢٧ ، مر ١١ : ٢٧ - ٣٣ ، لو ٢٠ : ١ - ٨) .

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾ [إبراهيم : ١٠ ، ١١] .

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وجاءت مسألة (السبت) محكاً للجدل ومثاراً للنقاش ..

ومسألة السبت هذه تعرض لها القرآن مرات : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] ، ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] ، ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٤].

ورغم أن فكرة الراحة الإجبارية في اليوم السابع وارتباطها بخلق الكون في ستة أيام فكرة غريبة عن الأصول الإسلامية الثابتة - فيما أعلم ، إذ الجمعة عند المسلمين يوم صلاة جامعة لا يوم راحة مفروضة ، فإنّ المفسرين قد أوردوا في تفسير هذه الآيات ما عرفوه عن أهل الكتب . قال ابن كثير : «لا شك أن الله تعالى شرع في كل ملة يوماً من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة ، فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده ... واختاروا - بنو إسرائيل - السبت لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئاً من المخلوقات التي كمل خلقها يوم الجمعة ، فالزمهم تعالى به في شريعة التوراة ووصّاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه ... يقول تعالى : (ولقد علمتم) - يا معشر اليهود ما حلّ من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعاً لهم ،

فتحيّلوا على اصطیاد الحيتان يوم السبت بها وضعوا لها من الشصوص
والحبائل قبله ... إلخ» ^(١) .

وأثّرت مسألة السبت في وجه المسيح ، أثارها (الطقوسيون) المتزمتون ...

«في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع ، فجاع تلاميذه
وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون ، فالفريسيون لما نظروا قالوا له : هو ذا
تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعله في السبت !! فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داود
حين جاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحلّ
أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ؟ أو ما قرأتم في التوراة أنّ الكهنة في
السبت في الهيكل يدتسون السبت وهم أبرياء؟؟ ولكن أقول لكم : إنّ ههنا
أعظم من الهيكل ، فلو علمتم ما هو : إني أريد رحمة لا ذبيحة ، لما حكمتكم
على الأبرياء ، فإنّ ابن الإنسان هو ربّ السبت أيضاً . ثم انصرف من هناك
وجاء إلى مجمعهم ...

وإذا إنسان يده يابسة ، فسألوه قائلين : هل يحلّ الإبراء في السبت ؟ - لكي
يشتكوا عليه . فقال لهم : أيّ إنسان منكم يكون له خروف واحد ، فإن سقط هذا في
السبت في حفرة - أفما يمسه ويقيمه ؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف !! إذن
يحلّ فعل الخير في السبت . ثم قال للإنسان مدّ يدك فمدّها ، فعادت صحيحة
كالأخرى !! «ثم قال لهم : السبت إنما جُعِلَ لأجل الإنسان ، لا الإنسان لأجل
السبت ، إذ أنّ الإنسان هو ربّ السبت أيضاً !!»

السبت لأجل الإنسان ، لا الإنسان لأجل السبت ...

١ - تفسير ابن كير : طبعة الحلبي ج ٢ ص ٥٩١ ، ج ١ ص ١٠٥ .

حقيقة كبرى هي حقيقة الأديان كلها ! فالعبرة بالجوهر ، والعبادات وسائل لترقية الإنسان وتهذيبه ، لا لإعاناته وإشقاته ، فما جعل الله في الدين من حرج ، ولا يُكَلِّف نفساً إلا وسعها ...

لكن الذين حصروا أنفسهم في الأشكال هم أبعد عن تذوق الروح ، إنهم يختنقون خارج مراسمهم اليايسة !! إنهم يظنون الله كملوك الأرض الذين يزحون قصورهم بالمظاهر ويتشدّدون في قواعد البروتوكول : «وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه : هل يشفى في السبت - لكي يجدوا عليه شكاية ، أما هو فعلم أفكارهم .. ثم قال لهم يسوع : أسألکم شيئاً - هل يحلّ في السبت فعل الخير أو فعل الشر ، تخليص نفس أو إهلاكها ؟؟» (مت ١٢ : ١-١٣ ، مر ٢ : ٢٣-٢٨ ، ٣ : ١-٦ ، لو ٦ : ١-١١ ، ١٤ : ١-٦) .

وأعجب العجائب أن يكون جزاء من يشفي الناس .. القتل ، ما دام يشفيهم يوم سبت ! فهذه شرعة الإنصاف والطاعة كما يفهمها اليهود : «ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه ، لأنه عمل هذا في سبت ! فأجابهم يسوع : أبي يعمل حتى الآن ، وأنا أعمل .» ، «ففي السبت تحتنون الإنسان ... فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لثلا ينقض ناموس موسى ، أفتسخطون عليّ لأنّي شفيت إنساناً كلّ في السبت !! لا تحكموا حسب الظاهر ، بل احكموا حكماً عادلاً» (يو ٥ : ١٦-١٧ ، ٧ : ٢٣-٢٤) !!

ولكن كيف يأتي العدل من بدّد نعمة العقل : «فأتوا إلى الفريسيين بالذي كان قبلاً أعمى ، وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه . فسأله الفريسيون أيضاً : كيف أبصر ؟ فقال لهم : وضع طيناً على عيني ، واغتسلت فأنا أبصر !! فقال قوم من الفريسيين : هذا الإنسان ليس من الله - لأنه لا يحفظ السبت ! آخرون قالوا : كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات ، وكان بينهم انشقاق !!» (يو ٩ : ١٣-١٦) .

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة : ٤١] .

هؤلاء يريدون أن يموت الناس من الجوع أو المرض ، ولا يمد إليهم أحد يداً - توقيراً ليوم السبت !!

حدث جابر قال : خرجنا في سفر ، فأصاب رجلاً منا حجر فشجّه في رأسه ، ثم احتلم ، فسأل أصحابه : هل تجدون رخصة في التيمّم ! فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء - فاغتسل فمات ! فلما قدمنا على رسول الله أُخبر بذلك ، فقال : قتلوه ، قتلهم الله !! ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العي السؤال ، إنما كان يكفيه أن يتيمّم ^(١) .

وهرش المعترضون رءوسهم ليتابعوا مرأءهم : « وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أنّ الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى ؟ وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً ، إذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان .

قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق ؟ قال لهم : إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا . وأقول لكم : إنّ من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني ، والذي يتزوج بمطلقة يزني !

قال له تلاميذه : إن كان هذا أمر الرجل مع المرأة ، فلا يوافق أن يتزوج ! فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام - بل الذي أُعطي لهم ، لأنه يوجد خصيان

١ - رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني وصححه ابن السكن.

وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان
خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، ومن استطاع أن يقبل فليقبل » (مت ١٩ :
١٢-٣ ، مر ١٠ : ٢-١٢) .

هل انقطعت الأسئلة ؟؟

... ما زالت هناك فرصة في الأحاجي والألغاز : « في ذلك اليوم جاء إليه
صدوقيون -الذين يقولون ليس قيامة ، فسألوه قائلين : يا معلّم ، قال موسى : إن
مات أحد وليس له أولاد ، يتزوَّج أخوه بامرأته ويقيم نسلًا لأخيه . فكان عندنا
سبعة إخوة وتزوَّج الأول ومات ، وإذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ، وكذلك
الثاني والثالث إلى السبعة . وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ، ففي القيامة لمن من السبعة
تكون زوجة - فإنها كانت للجميع ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : تضلّون إذ لا تعرفون
الكتب ولا قوّة الله ، لأنهم في القيامة لا يُزوَّجون ولا يتزوَّجون ، بل يكونون
كملائكة الله في السماء ! وأما من جهة قيامة الأموات : أفما قرأتم ما قيل لكم من
قبل الله القائل : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ، ليس الله إله أموات بل
إله أحياء - فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه ! .

أما الفريسيون فلما سمعوا أنّه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً ، وسأله
واحد منهم وهو ناموسي ليجرّبه قائلاً : يا معلّم ، آية وصية هي العظمى في
الناموس ؟ فقال له يسوع : تحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كلّ نفسك
ومن كل فكرك - هذه هي الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها : تحبّ
قريبك كنفسك - بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء ، « فقال له
الكاتب : جيداً يا معلّم بالحق قلت ، لأنّه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبّته
من كلّ القلب ومن كلّ الفهم ومن كلّ النفس ومن كلّ القدرة ، ومحبة القريب
كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح ، فلما رآه يسوع أجاب بعقل

قال له : ليست بعيداً عن ملكوت الله ، ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله « مت ٢٢ : ٢٣-٤٠ ، مر ١٢ : ١٨-٣٤ ، لو ٢٠ : ٢٧-٤٠) .

وفي الإسلام نهي عما يُسمّى (بالأغلوطات) في اصطلاح الفقه الإسلامي : وهي المسائل التي لم تقع أو الفروض بعيدة التحقق ، فقد ورد في القرآن : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة : ١٠١] . وفي الحديث النبوي : «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها» . «أعظم الناس جرماً من سأل عن شيء لم يُحرّم ، فحرّم من أجل مسألته»^(١) .

هنالك لم يبق للهادي في قوس الصبر منزع ...

انطلق المسيح يرسل على هؤلاء الشكليين شواظاً من نار ، ويكشف حقيقتهم عارية سافرة بغير تزويق ...

هؤلاء الذين يحصرون جهودهم في الطقوس والشكول ، وما من دين إلا وله مناسكه وشعائره ، لكنها تُبتغى رمزاً وتذكرة !! ... هؤلاء الذين يقصرون العبادة على طهارة البدن وأداء المراسم وحفظ (تقليد الشيوخ!) ، وما من دين إلا وله أحكامه في الطهارة ومقدساته ومأثوراته ، لكنّ مقصود ذلك كله طهارة الروح ، طهارة الفكر والوجدان !! ... فإذا بالوسائل تنقلب في أيدي هؤلاء إلى غايات ، والرموز تتحوّل إلى أصول : «أنتم الآن أيها الفريسيون تُنقّون الكأس والقصة ، وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً ! يا أغبياء ، أليس الذي صنع الخارج صنع

١- الأحاديث الواردة في تفسير ابن كثير للآية (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ): - طبعة الحلبي - ج ٢ ص ١٠٦ .

الداخل أيضاً ؟ بل أعطوا ما عندكم صدقة فهو ذا كل شيء يكون نقياً لكم ، ولكن ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكلّ بقل ، وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله !! كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ويل لكم أيها الفريسيون ، إنكم تحبون المجلس الأول في المجمع والتحيات في الأسواق ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون ، لأنكم مثل القبور المخفية والذين يمشون عليها يعلمون !

فأجاب واحد من الناموسيين وقال : يا معلّم ، حين تقول هذا أتشتمنا نحن أيضاً ! فقال : وويل لكم أنتم أيها الناموسيون ، لأنكم تُحمّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل ، وأنتم لا تمشون الأحمال بإحدى أصابعكم !! ويل لكم ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء ، وآبائكم قتلوهم !! إذن تشهدون وترضون بأعمال آبائكم ، لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم ! لذلك أيضاً قالت حكمة الله : إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون ، لكي يُطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم ... ويل لكم أيها الناموسيون ، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة - وما دخلتم أنتم ، والداخلون منعتموهم ! « (لو ١١ : ٣٩-٥٢) .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّعُوا أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَتَّعُونَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ أَلَمُوتَ الَّذِي تَقْرُؤُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة : ٥ - ٨] .

وأقبل المسيح يشرح حقيقة الطهارة : «ثم دعا الجمع وقال لهم : اسمعوا وافهموا ، ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس

الإنسان ! حينئذ تقدّم تلاميذه وقالوا له : أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول فروا؟ فأجاب وقال : كل غرس لم يغرسه أبي السموي يُقْلَع ! اتركوهم ، هم عميان قادة عميان ، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة !! فأجاب بطرس وقال له : فسرّ لنا هذا المثل . فقال يسوع : هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين ؟ ألا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج ، وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر - وذاك ينجس الإنسان ، لأنّ من القلب تخرج أفكار شريرة : قتل ، زنى ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف - هذه هي التي تنجس الإنسان ، وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان » (مت ١٥ : ١٠ - ٢٠ ، مر ٨ : ١٤ - ٢٣) .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِء مُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ [المائدة : ٨٧ ، ٨٨] . ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِء وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِء سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) [الأعراف : ٣٢ ، ٣٣] . ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل : ١١٦] . ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ ءَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَرْبَابَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (١٩) [يونس : ٥٩] .

وخشى المسيح أن تتجمّد رسالته في أيدي أتباعه كما تجمّدت اليهودية عند اليهود ، وأشفق عليهم أن يتبعوا سنن الذين من قبلهم - حتى لو دخلوا جحراً لدخلوه : «وقال يسوع : انظروا وتحزّروا من خبير الفريسيين والصدوقيين . فكفّروا في

أنفسهم قائلين : إننا لم نأخذ خبزاً؟! فعلم يسوع ، وقال لهم : لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزاً ، أحتى الآن لا تفهمون ، ولا تذكرون ؟! ... كيف لا تفهمون أني ليس عن الخبز قلت لكم أن تحزّروا من خير الفريسيين والصدوقيين؟ حينئذ فهموا أنه لم يقل أن تحزّروا من خير الخبز ، بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين » (مت ١٦ : ٦-١٢) ...

وهكذا كاد أتباع المسيح أنفسهم أن يصيروا حرفيين شكليين ، فهم يغفلون عن المجاز الرائع في كلمات المسيح !

«ابتدأ يقول لتلاميذه : أولاً تحزّروا لأنفسكم من خير الفريسيين الذي هو الرياء ، فليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يُعرف ، لذلك كل ما قلمتموه في الظلمة يُسمع في النور ، وما كلمتم به الأذن في المخادع يُنادى به على السطوح » (لو ١٢ : ٢) .

ثم أنذر المسيح هؤلاء الجاحدين الجامدين .. «.. قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب ، الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضّض ومن سقط عليه يسحقه ... ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ، وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع - لأنّه كان عندهم مثل نبي » (مت ٢١ : ٤٢-٤٦ ، مر ١٢ : ١٠-١٢ ، لو ٢٠ : ١٧-١٩) .

«حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً :

على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكلّ ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا - لأنهم يقولون ولا يفعلون ، فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون

أن يُجَرِّكُوهَا بِأَصْبَعِهِمْ ! وكلّ أعمالهم يعملونها لكي ينظروهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ، ويعظمون أهذاب ثيابهم ، ويحبّون المتكأ الأول في الولاثم والمجالس الأولى في المجمع ، والتحيات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس : سيدي سيدي ! وأما أنتم فلا تُدْعُوا سيدي - لأنّ معلّمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة ، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات ، ولا تُدْعُوا معلّمين لأنّ معلّمكم واحد المسيح ، وأكبركم يكون خادماً لكم ، فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع ..

لكن ويلّ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ! ويلّ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تأكلون بيوت الأرمال ولعلّة تُطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذكم دينونة أعظم !

ويلّ لكن أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تطوفون البحر والبرّ لتكسبوا دخيلاً واحداً ، ومتى حصل تصنعونه ابناً لجنهم أكثر منكم مُضاعفاً !! ويلّ لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم !! أيها الجهال والعميان ، أيّما أعظم : الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب ؟؟ ... ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ، ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم !! أيها الجهال والعميان ، أيّما أعظم : القربان أم المذبح الذي يقدس القربان ؟؟ ... فإنّ من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكن فيه ، ومن حلف بالسما فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه ...

ويلّ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تُعَشِّرُونَ النعنع والشبث والكمّون ، وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان ! كان ينبغي أن تعملوا

هذه ولا تتركوا تلك ! أيها القادة العميان الذين يُصَفُّون البعوضة ويبلعون الجمل !
ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تنقون الكأس والصحفة وهما
من داخل مملوءون اختطافاً ودعارة ... » (مت ٢٣ : ١-٢٥ ، أيضاً أجزاء في مر ١٢ : ٣٨-
٤٠ ، لو ١١ : ٣٧-٥٢ ، ٢٠ : ٤٥-٤٧) .

قذائف متتابعة ، كلها محكمة التصويب ! .

وقد تابع رسل المسيح تعاليمه ، ليضعوا عن الناس إصرهم والأغلال التي
كانت عليهم : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

« فقال بطرس : كلا يا رب لم أكل قط شيئاً دنساً نجساً ، فصار إليه أيضاً صوت
ثانية : ما طهره الله لا تُدنِّسُهُ أنت . وكان هذا على ثلاث مرات » ، « فقال لهم : أنتم
تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه ، وأما
أنا فقد أراي الله أن لا أقول عن إنسان ما إنّه دنس أو نجس » ، « لا تنقض لأجل
الطعام عمل الله : كل الأشياء طاهرة ، لكنه شرّ للإنسان الذي يأكل بعثرة »
(أعمال ١٠ : ١٥-١٦ ، ١١ : ٨-٩ ، ١٠ : ٢٨ ، رومية ١٤ : ٢٠) .

وقد واجه رسل المسيح في طريقهم مسألة الختان ، كما واجه المسيح من
قبلهم مسألة السبت ، ونازعهم في هذا فريسيون أيضاً : « ولكن قام أناس من
الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين . وقالوا : إنّه ينبغي أن يختتنوا
ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى . فاجتمع الرسل والمشايع لينظروا في هذا
الأمر ، فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم : أيها الرجال
الإخوة ، أنتم تعلمون أنه عند أيام قديمة اختار الله بيننا أنّه بفمي يسمع
الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون ، والله العارف القلوب شهد لهم معطياً الروح
القدس كما لنا أيضاً ، ولم يميّز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم .

فالآن ، لماذا تُجربُون الله بوضع نير على عنق التلاميذ - لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله ؟ لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً فسكت الجمهور كله » ، « فَإِنَّ الْخِتَانَ يَنْفَعُ إِنْ عَمِلْتَ بِالنَامُوسِ ، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ مُتَعَدِّياً النَامُوسَ فَقَدْ صَارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً . إِنْ كَانَ الْأَغْرَلُ يَحْفَظُ أَحْكَامَ النَامُوسِ ، أَمَا تَحْسَبُ غُرْلَتَهُ خِتَاناً ؟ وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ وَهِيَ تَكْمِلُ النَامُوسَ تَدِينُكَ أَنْتَ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالْخِتَانُ تَعْدِي النَامُوسَ ؟ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا ، وَلَا الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَاناً ، بَلِ الْيَهُودِيَّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِي ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لَا بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ ، الَّذِي مَدَحَهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ » ، « دُعِيَ أَحَدٌ وَهُوَ نَحْتُونَ فَلَا يَصِرُ أَغْلَفٌ ، دُعِيَ أَحَدٌ فِي الْغُرْلَةِ فَلَا يَخْتَنُ . لَيْسَ الْخِتَانُ وَلَيْسَتِ الْغُرْلَةُ شَيْئاً بَلْ حَفَظَ وَصَايَا اللَّهِ . الدَّعْوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ فَيَلْبِثُ فِيهَا » ، « فَانْتَبِهُوا فِي الْحَرِيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا ، وَلَا تَرْتَبِكُوا أَيْضاً بَنِيرَ عِبُودِيَّةٍ ! هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّهُ إِذَا اخْتَنَنْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً ، لَكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَخْتَنُ أَنَّهْ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَامُوسِ . قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّزُونَ بِالنَامُوسِ ، سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ ، فَإِنَّا بِالرُّوحِ مِنَ الْإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بَرٍّ ، لِأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ ، بَلِ الْإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ » ، « جَمِيعُ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَنَظَرًا حَسَنًا فِي الْجَسَدِ هَؤُلَاءِ يُلْزَمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَنُوا لِئَلَّا يُضْطَهَّدُوا لِأَجْلِ صَلِيبِ الْمَسِيحِ فَقَطْ ... لِأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ » (أعمال ١٥ : ٥-١١ ، رومية ٢ : ٢٥-٢٩ ، كورنثوس ٧ : ١٨-٢٠ ، غلاطية ٥ : ١-٦ ، ١١-١٥) .

وأشهد أنّ كثيراً من أتباع الأديان السماوية في أمس الحاجة إلى تدبر وصايا المسيح ، ووصايا محمد ، ووصايا كل نبي يلفت المتدينين إلى الجوهر لا المظهر ، وإلى اللباب دون القشور !! وأشهد أن دعوة الدين اليوم كثيراً ما تُشوّه بأيدي الجامدين الحرفيين (الطقوسيين) ، أكثر مما ينال منها الجاحدون والملاحدون ..

ومن بين قومي - وهم الذين أنا أدري بهم - من أرى منه استقصاء لمواعيد الصلوات الخمس بالدقيقة والثانية ، وضبطاً لمواعيد الفطر عند الصوم بالدقيقة والثانية ، ونقاشاً محتدماً يدور إذا اختلفت الساعات ، وتبادلاً لاتهم الساعات بالتلف والخسران !!

وكم من موسوس في الوضوء ، يكرّره مرات حتى يكاد يغرق نفسه في الماء ، لتكون قطرات الماء المتساقطة وثيابه المبتلة شاهداً بإسباغ الوضوء !!

وكم من موسوس في تحديد قبلة الصلاة ، هل هي بانحراف يسير أو كبير أو بغير انحراف ؟ ومن موسوس في تكبيرة الإحرام : هل تلفظ النية بلسان عربي مبين أم لا ، وهل كبر الله بحيث ترتج الأرض أم لا ، وهل رفع اليدين حتى عركت الأذنين أم لا ؟؟ ..

وهؤلاء الذين يفعلون هذا كلّهُ ، ليس هناك بأس بأن يفعلوا ما يشاءون ، إن كانوا يُحْصون ثرواتهم فيخرجون الزكاة للفقير بهذا التدقيق ، ويُنصفون الناس من أنفسهم بهذا الميزان ، ويحاسبون أنفسهم على الكلمة الطيبة والعمل الصالح مثل هذا الحساب ، أو شيئاً من هذا الحساب !! إنّ الذي فرض الصلاة لم يأمر بالصلاة فحسب ، لأنّه لا يحاسب الناس على دقائق معدودات ، ثم يتركهم لانطلاقاتهم سائر الساعات الأربعة والعشرين !!

ولو كانت البيوت والمجتمعات تعمر بالتواصي بالحق وإشاعة الخير والتعاون على البر والتقوى كما تعمر المساجد والكنائس وسائر المعابد ، لأثرت الإنسانية من الدين ثراءً بعيداً .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ [الحائىة : ١٦ ، ١٧] . ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَحْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿١٨﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِيرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [البقرة : ٨٤ - ٨٦] .

صراع طويل بين المسيح وخصومه

صراع بدأ بغمز سيرة المسيح ، ثم تطرّق إلى نقد تعاليمه ، ووصل إلى حدّ التهجم على معجزاته وعلى شخصه ، مع نشر الأسئلة بجانب نشر الأشواك ، لعلّه يتعرّث باللسان إذا كان القدم لا يسير إلّا إلى الخير والسلام !!

ماذا كانت نتيجة الصراع بين المظهر والجوهر ، بين الشكول والأصول ، بين التقاليد والروح ؟؟

ألقوا في طريقه (بفخ سياسي) ليقعوه بفلتة لسان ، فردّ الكرة إليهم في مهارة ، وحملهم عبء الوقوع :

«حيثنذ ذهب الفريسيون ، وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة !! فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديسين قائلين : يا معلّم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله

بالحق ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس ، فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا ؟ ».

يا سبحان الله ... (يصطادوه بكلمة) ! هذا الذي يتكلم المواعظ الطوال فيصيب الهدف وكأنه يعزف على أوتار القلوب ، يقع في كلمة !! لو لم يكن الروح القدس يحميه بعصمة المرسلين ، لحق لبلاغته أن تحميه ...

وهذا الرصف الطويل من المدح والثناء ، ما باله اليوم يُكال دون حساب !! هل اكتشف القوم - فجأة - أن المسيح (صادق .. ويعلم طريق الله بالحق .. ولا يبالي بأحد ، لأنه لا ينظر إلى وجوه الناس) !!

ولكن لا يخفى المكر السيئ على الرسول الموهوب المعصوم : «فعلم يسوع خبثهم ، وقال : لماذا تجربونني يا مرءون ! أروني معاملة الجزية ..

فقدّموا له ديناراً ، فقال لهم : لمن هذه الكتابة ؟؟ .. قالوا له : لقيصر .

فقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله !

فلما سمعوا ... تعجبوا ، وتركوه ، ومضوا !!»

وفشلت المؤامرة المدبّرة : «راقبوه ، وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار ، لكي يمسكوه بكلمة حتى يُسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه ... فلم يقدرُوا أن ينسكوه بكلمة قدام الشعب !» (مت ٢٢ : ١٥-٢٢ ، مر ١٢ : ١٣-١٧ ، لو ٢٠ : ٢٠-٢٦).

إذن فليحملوا هم إثم الجريمة كلها ...

«فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعاً ، وقالوا : ماذا نصنع ، فإنّ هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا ! فقال لهم واحد منهم - وهو قيافا - كان رئيساً للكهنة في تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولا تفكرون أنّه خير لنا أن يموت إنسان

واحد عن الشعب ، ولا تهلك الأمة كلها ... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه ، فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية ، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها أفرام ، ومكث هناك مع تلاميذه . وكان فصيح اليهود قريباً ... وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدرُوا أمراً : أنه إن عرف أحد أين هو ، فليدل عليه لكي يمسكوه » (يو ١١ : ٤٧-٥٧) ..

وهكذا اختار أحرار اليهود أن يكونوا عصابات للخطف والاعتقال !!

« ... كان بيلاطس يطلب أن يُطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون إن أطلقنا هذا فلست محباً لقيصر ! كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر .. قال لهم بيلاطس : أأصلب ملككم؟؟ أجاب رؤساء الكهنة : ليس لنا ملك إلا قيصر » (يو ١٩ : ١٢، ١٥) .

مرحى للكهنة والفريسيين ، لقد صاروا (قيصريين) أكثر من عامل قيصر !!

﴿لُعِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مَتَّهَمِينَ يَتُوبُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة : ٧٨ - ٨١] .

كنت أتأمل تاريخ بني إسرائيل في الأناجيل المتداولة وفي القرآن .. فأزداد بصراً بعلّة تحوّل الرسالة - على يد محمد - من بني إسرائيل ، إلى بني إسماعيل ..

فالعرب - في جملتهم - قوم بسطاء فيهم ساحة البداوة ... فيهم شجاعة الرأي وشجاعة القلب ، أصفياء من عُقد الصولة والصولجان ، ومن عاهات الأحرار

والكهان .. الواحد منهم إما أن يكون معك أو عليك ، فمن كان معك فهو معك بكل ما يملك ولو حارب الخلق أجمعين ، ومن كان عليك فهو مجاهر بالعداء سافر في الخصومة ، ويوم يقتنع فهو يتحوّل بكل إخلاصه وكل قواه من طريق إلى طريق ، دون اضطراب أو التواء .

وهذا صوت المسيح يسجّل على بني إسرائيل هذا اللجاج في التكذيب : «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً ، الذي يشهد لي هو آخر - وأنا أعلم أنّ شهادته التي يشهد بها لي هي حق ... لأنّ الأعمال التي أعطاني الآب لأأكملها - هذه الأعمال بعينها التي أنا أحملها هي تشهد لي أنّ الآب قد أرسلني .. فتشوا الكتب لأنكم تظنون أنّ لكم فيها حياة أبدية - وهي التي تشهد لي ، ولا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة ! مجدداً من الناس لست أقبل ، ولكني قد عرفتكُم أن لست لكم محبة الله في أنفسكم . أنا قد أثبت باسم أبي ولستم تقبلونني ... لا تظنّوا أني أشكوكم إلى الآب ! يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدّقونني لأنّه هو كتب عني ، فإن كنتم لستم تصدّقون كتب ذاك فكيف تصدّقون كلامي » (يو ٣١: ٥٧) .

﴿لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] .

ويتجاوب مع هذه التريمة الشاكية عزاء القرآن لرسول الإسلام : ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ٦-٨] . ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَجَحَّدُونَ﴾ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ

جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِغَايَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام: ٣٣ - ٣٦] ..

كان الطبيعي إذن أن تتحوّل رسالة السماء عن اليهود ... وكان من الطبيعي إذن أن تكون وجهتها الجديدة هي العرب - أولاد عمومة بني إسرائيل في الأرومة السامية ...

ولقد لقي رسول الإسلام ما لقيه ، على أيدي حفنة محدودة من اليهود حين انتقل إلى المدينة - فكيف لو كان قد بُعث لهم وبين ظهرائهم ؟؟

وليس معنى هذا أنّ العرب - وقریشاً بخاصة - قد فتحت ذراعيها لدعوة الإسلام .. ولكن الإسلام واجه عند العرب تحدي الرجال الصرحاء الشجعان ، في حين نجد خصومة اليهود خصومة الختل والدس والغدر والالتواء !!

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَرَفُوا لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِهمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٠﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٤٢﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٤٣﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ [البقرة: ٧٥ - ٨٠] . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيُكْفَرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ

مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿البقرة : ٩١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ
لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿آل عمران : ٧٥﴾ . ﴿وَإِذَا
جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَالَهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا
يَكْتُمُونَ﴾ ﴿١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ
لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ
وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٣﴾ [المائدة : ٦١ - ٦٣] .

هذه بعض أوصاف اليهود في القرآن ، وتُعزِّزها أوصافهم في الأناجيل المُتداولة ،
فهل يطبق هؤلاء الأدعياء المتعالون المتغطرسون رسالة جديدة ؟؟

لقد حسبوا أنفسهم قد أحاطوا بالحكمة من أطرافها ، وأحرزوا الخيرات من
كل أبوابها ، وتميزوا على سائر الأمم والشعوب إلى يوم الدين !! .

ولقد لقي منهم المسيح - ورسالته هي شريعة الحب وحسب - ما لقي من
عنت وإيذاء ، فكيف (بمحمد) الذي سوف يكون صاحب شريعة مفصلة ،
وأحكام مبيّنة ، تنال ما سبقها من الشرائع بالتعديل ، أو الزيادة والنقصان ؟؟

حسبك أن تقرأ هذه السورة القرآنية لأحاسيس قلة من اليهود كانوا (بطانة)
للمسلمين لتتعرف على حكمة الله وتحمد نعماءه : ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا
تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١﴾ هَاتُنتُمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ
وَلَا تُحِبُّونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ
الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢﴾ إِنْ تَمَسَّسَكُمْ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿٣﴾ [آل عمران : ١١٨ - ١٢٠] ! .